

الموعظة الثانية

مواساة النبي ﷺ للفقراء

هدف الموعظة

حثّ الناس على التأسي برسول الله ﷺ في معاملة الفقراء.

محاوار الموعظة

1. مواساة النبي ﷺ للفقراء
2. الفقر فخري
3. النبي ﷺ مع الفقراء

تصدير الموعظة

رسول الله ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً، وتوفني مسكيناً، واحشني في زمرة المساكين»⁽¹⁾.

(1) المتقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج6، ص489.

عاش رسول الله ﷺ حياةً يواسي بها الفقراء، فكان «يأتي عليه الشهران والثلاثة، فلا توقد في بيته نارٌ لمصباح، وتوفي ودرعه مرهونة، ما ترك صفراء ولا بيضاء»⁽¹⁾، ولقد كان ﷺ يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف وأربعمئة ألف، ويأتيه السائل بالعشي، فيقول: والذي بعث محمداً بالحق، ما أمسى في آل محمد صاعٌ من شعير ولا صاعٌ من برٍّ ولا درهم ولا دينار»⁽²⁾. وكان ﷺ «يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري ويردف خلفه... لم يضع حجراً على حجرٍ حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه»⁽³⁾.

مواساة النبي ﷺ للفقراء

هذه الحياة البسيطة لم تكن لتنع رسول الله ﷺ من كثرة الإنفاق ومساعدة الفقراء؛ إذ إنه ﷺ كان:

1. لا يرد سائلاً

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ كان لا يسأله أحدٌ من الدنيا شيئاً إلا أعطاه»⁽⁴⁾. وقد جاءه ﷺ رجلٌ فسأله أن يعطيه، فقال له ﷺ: «ما عندي شيء، ولكن ابع عليّ -أي اشتر ما تحتاج إليه ويكون ثمنه عليّ- فإذا جاءني شيء قضيته»⁽⁵⁾.

(1) كناية عن الدينار (الذهب) والدرهم (الفضة).

(2) المقرئ، إمتاع الأسماع، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النيسبي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، 1420 هـ - 1999 م، ط1، ج4، ص223.

(3) السيد الرضي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، مصدر سابق، الخطبة 160.

(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص55.

(5) ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، مجدى السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع -

2. يؤاكل المساكين ويناولهم بيده

كان النبي ﷺ «يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويناولهم بيده»⁽¹⁾.

3. يُنفق كل ما لديه

«كان ﷺ أسخى الناس، لا يثبت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل، لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود إلى قوت عامه، فيؤثر منه، حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأتته شيء»⁽²⁾.

4. يقضي حوائج المحتاجين

يذكر أمير المؤمنين عليه السلام في صفة رسول الله ﷺ: «ومن سأله حاجة لم يرجع إلا بها، أو بميسور من القول»⁽³⁾.

5. يطلب إبلاغه الحاجة

كان ﷺ يهتم بمعرفة حاجات الناس حتى يقضيها لهم إن استطاع، فقد أثر

القاهرة، لا.ت، لا.ط، ص118.

(1) ابن شهر آشوب، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، 1376هـ - 1956م، لا.ط، ج1، ص146.

(2) الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، سنن النبي ﷺ (مع ملحقات)، تحقيق وإحاطة الشيخ محمد هادي الفقهري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1419هـ، لا.ط، ص113.

(3) البروجردي، السيد حسين الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، لا.ن، إيران - قم، 1399هـ، لا.ط، ج13، ص504.

عنه عليه السلام قوله: «أبلغوني حاجةً مَنْ لا يقدرُ على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةً مَنْ لا يقدرُ على إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة»⁽¹⁾.

6. يُعين خادمه

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب أنه عليه السلام كان «يطحن مع الخادم إذا أعْي»⁽²⁾؛ أي يعينه إذا تعب.

7. يحذّر من إهانة الفقير

لقد كان النبي عليه السلام لا يحتقر مسكيناً لفقره⁽³⁾، وكان يحذّر من ذلك، فقد جاء عنه عليه السلام قوله: «مَنْ استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقّره لفقره أو قلّة ذات يده، شَهره الله - تعالى - يوم القيامة، ثمّ يفضحه»⁽⁴⁾.

8. يحثّ على إكرام الفقير

رُوي عنه عليه السلام: «مَنْ أكرم فقيراً مسلماً، لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ»⁽⁵⁾.

الفقر فخري

لقد رفع رسول الله عليه السلام شعار مواساة الفقراء وتشجيعهم معنوياً، حين رفع عليه السلام الفقر شعاراً له؛ بقوله: «الفقر نفري، وبه أفخر»⁽⁶⁾.

(1) العلامة الطباطبائي، سنن النبي عليه السلام، مصدر سابق، ص 103.

(2) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج 1، مصدر سابق، ص 126.

(3) العلامة الطباطبائي، سنن النبي عليه السلام، مصدر سابق، ص 114.

(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 72، ص 44.

(5) المصدر نفسه، ج 69، ص 55.

(6) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 69، ص 30.

النبي ﷺ مع الفقراء

جاء في سبب نزول قوله -تعالى-: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ⁽¹⁾، أن مجموعة من أشراف قریش ومن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: يا رسول الله، إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وروأح صنائهم (كانت عليهم جباب الصوف) جلسنا نحن إليك، وأخذنا عنك؛ لأنه لا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء.

لقد كان هؤلاء الأشراف والمؤلفة قلوبهم يقصدون في كلامهم المستضعفين والفقراء من أصحاب رسول الله ﷺ، من أمثال سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وصهيب، وعمار بن ياسر، وخباب وغيرهم ممن كان على شاكلتهم؛ إذ كان هؤلاء ممن التفت حول رسول الله ﷺ، وممن قربهم رسول الله ﷺ إليه. لذلك اشترط الأشراف على رسول الله ﷺ أن يطرد أمثال هؤلاء الفقراء عن مجلسه ونعتوهم بشتي النعوت.

وهنا نزل الآية الكريمة على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشْيِ﴾. فلما نزلت الآية، قام النبي ﷺ يلتمسهم، فأصابهم في مؤخر المسجد، يذكرون الله -عز وجل-، فقال ﷺ: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي. معكم الحيا ومعكم الممات» ⁽²⁾.

(1) سورة الكهف، الآية 28.

(2) انظر: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، لان، لام، لات، لاط، ج9، ص256.